الباب السابع والستون والأخير

باب ما جاء في قول اللّه -تعالى-: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللّه حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية

قناة التأصيل العلمي

http://t.me/altaseelalelmi

(اضغطي على الرابط للوصول إلى القناة)





١

الباب السابع والستون والأخير: باب ما جاء في قول الله -تعالى-: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

لماذا ختم المؤلف -رحمه الله تعالى- أبواب "كتاب التوحيد" بهذا الباب؟

لأن "كتاب التوحيد" كله يدور على

توحيد الألوهية ومكملاته ومنقصاته ومناقضاته

وفي هذا الباب ذكر الأسماء والصفات من أجل أن

يتكامل هذا الكتاب فيحتوي على جميع أنواع التوحيد

لأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية

ومن جملة توحيد الربوبية: الإيمان بالأسماء والصفات

لذلك عقد المصنف هذا الباب في آخر "كتاب التوحيد" من أجل تكامل الكلام على التوحيد

عللي: فُصلت الأسماء والصفات بقسم خاص

لوجود المخالفين فيها من فرق الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن أخذ بمذهبهم

وقد أنكر عليهم الأئمة مذهبهم هذا إنكارًا شديدًا وألفوا في ذلك المؤلفات والردود الكثيرة لأن هذا

تعطيل لأسماء الله تعالى

وإلحاد في أسماء الله تعالى

قوله: "باب ما جاء"

أي ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن السلف الصالح في تفسير هذه الآية

قوله: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.."

أي: ما عظموه حق تعظيمِه

هذه الآية فيها عظات وعبر

أن هذا الكون بسمائه وأرضه وجباله وشجره ومائه وثرائه وجميع المخلوقات

يجعلها الله تعالى على أصابعه ويجمعها في كفيّه سبحانه

وهذا يدل على عظمة الله -سبحانه- وصغر هذه المخلوقات الهائلة بالنسبة إليه

ويدل على عظمته وكبريائه وجبروته سبحانه





قوله: "وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ" ← هذا بيان لعظمته سبحانه وتعالى

قوله: "وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ" ← من كان يَقْدِر على هذه الأمور فإنه لا أعظم منه سبحانه، كل الكون -بمن فيه- كله حقير وصغير بالنسبة إلى خالقه سبحانه وتعالى

من يشمل قوله: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ"؟

يشمل كل من تنقص الله -تعالى- فإنه ما قدره حق قدره

١ الدهرية المعطلة/ الجاحدون والمعطلون الذين ينفون وجود الله سبحانه

يقولون: ليس لنا رب يتصرف فينا، وإنما هذا الوجود هو نتيجة الطبيعة والصدفة ويتفاعل هذا الوجود بنفسه فتتكون هذه الأشياء من تفاعل الكون فيجحدون وجود الخالق سبحانه وتعالى

رد الله -تعالى- عليهم بقوله:

"أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ"

أولًا/ الخلق لا بد له من خالق هذه بداهة عقلية لا ينازع فيها إلا مكابر

ثانيًا/ ما أحد ادعى أنه خلق شيئًا من السموات ولا من الأرض والتحدي قائم إلى يوم القيامة

فالملاحدة ما قدروا الله حق قدره الذين نفوا وجود الله ووجود الخالق

٢ المشركون/ الذين أقروا أن الخالق الرزاق المحيي المدبر هو الله واعترفوا بتوحيد الربوبية وخالفوا في توحيد الألوهية فعبدوا مع الله غيره

هؤلاء ما قدروا الله حق قدره حيث أنهم أشركوا معه غيره في عبادته

وما قدروا الله حق قدره حيث سووا به خلقًا من خلقه وجعلوهم معبودين معه

٣ الذين جحدوا الأسماء والصفات/ فمن أنكر الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله أو تأولها على غير معناه وألحد فيها، ما قدر الله حق قدره

ويدخل في ذلك الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتوريدية

ويدخل كل من ألحد في الأسماء والصفات أو جحد بعضها أو شيئًا منها





٤ القدرية/ الذين نفوا القدر وقالوا "إن الأشياء توجد بدون قدر الله وأنها أنف وأن العبد يخلق فعل نفسه دون أن يكون لله قدر سابق وعلم سابق بهذه الأشياء"

ويدخل في ذلك كل من ألحد في القدر من الجبرية ومن القدرية

٥ العاصي/ من عصى الله وارتكب ما حرم الله وترك ما أوجب الله من الطاعات ما قدر الله حق قدره لأنه خالف أمره فقد تنقّص الله بمخالفة أمره

ويدخل في ذلك كل مخالف لأوامر الله ونواهيه وأحكامه حيث لم يمتثل شرع الله وبذلك لم يقدره حق قدره

٦ من حكم بغير ما أنزل الله/ وجعل القوانين الوضعية بديلًا عن الأحكام الشرعية

٧ من جحد الرسالة/ وقال: إن الله لا يبعث رسولًا من البشر فهذا ما قدر الله حق قدره

لأنه اتهم الله -تعالى- بأنه ترك عباده بدون هداية ولا بيان

٨ الجاحد للبعث/ الذي زعم أن الله لا يبعث عبيده ليجازيهم بأعمالهم فما قدر الله حق قدره

لأنه وصف الله -تعالى- بالعبث وأنه ترك الخلق سدى يعملون بلا نتيجة لا فرق بين المحسن والمسيء تعالى الله علوًا كبيرًا

٩ الجاحد لكلام الله/ وقال: إن الله لا يتكلم والكتب من التوراة والإنجيل والقرآن والزبور وغيرها من كتب الله ليس هو كلام الله لأن الله لا يتكلم وإنما هو كلام بشر ومنهم من يقول "المعنى من الله واللفظ من البشر" هذا ما قدر الله حق قدره

الحاصل

أن هذا باب واسع وأن قوله: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" يشمل كل من خالف في أمور العقيدة وأمور الأحكام فإنه ما قدر الله حق قدره



الأحاديث والآثار الواردة في تفسير هذه الآية

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله -ﷺ- فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والثرى على إصبع....."

عللي: يُخاطب اليهود الرسول -ﷺ- بقولهم: يا محمد أو يا أبا القاسم ولا يقولون: نبي الله أو رسول الله

لأنهم يجحدون رسالته، جحدوا ذلك تكبُرًا وحسدًا لرسول الله وحسدًا للعرب لأنهم يريدون أن تكون النبوة في بني إسرائيل ولا تكون في بني إسماعيل

قولـه: "أن الله يجعل"

- السموات على إصبع
- والأرضين على إصبع
- والشجر على إصبع
- والثرى على إصبع
- وسائر الخلق على إصبع

فهذه خمسة أصابع عليها جميع المخلوقات العلوية والسفلية كل إصبع عليه خلق من خلقه

فيقول "أنا الملك" ← ولا أحد ينازعه في هذا ← فدل على انفراده -سبحانه- بالملك يوم القيامة

ولا أحد ينازع في هذا فيدعي شيئًا من ملك السموات والأرض لأنه لا أحد يملك السموات والأرض إلا الله تعالى

ماذا يسمى المُلك الذي يعطى لبعض الناس في الدنيا؟

مُلكٌ مؤقت، وهو عارية وامتحان يزول ← فالأملاك ترجع إلى الله فهو الذي يرث الأرض ومن عليها

عللي: ضحك النبي -ﷺ- لما سمع قول الحبر

- ضحك سرورًا بهذا الكلام
- لأنه جاء إقرارًا بما في القرآن، وإقرارًا بما جاء به الرسول
- فهذا شيء جاء به القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى وكتب الأنبياء كلها



وفي رواية لمسلم: "والجبال والشجر على إصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله"

"يهزهن" ← يحركهن سبحانه

"فيقول أنا الملك أنا الله" ← فيه بيان عظمته وربوبيته ومُلكه وعظيم قدرته -جل وعلا- وتقرير انفراده بالملك

وفي رواية للبخاري: "يجعل السماوات على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع"

ذكر هنا أن ← أصابعه -سبحانه- استوعبت كل الخلق وأنه يقبض السموات والأرض بيديه وهذا من عظمته

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف **وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف**

قال ابن خزيمة -رحمه الله تعالى-: الإمساك على الأصابع غير القبض على الشيء.
قال: فالإمساك على الأصابع قبل تبديل الأرض غير الأرض.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: "يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟ ثم....."

"أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟" ← تحدٍ منه -عز وجل- لهؤلاء الذين يتجبرون في الدنيا

ما معنى الجبّارمن الناس؟ ← المتعالي على الناس بالقهر والغلبة والظلم والبطش بغير الحق

ما معنى المتكبر من الناس؟ ←
- المتعالي على الناس بالظلم والبطش
- المتعالي على الحق فلا يقبله

ما معنى الجبار في حق الله تعالى؟ ← المتعالي بحق

ما معنى المتكبر في حق الله تعالى؟ ← يدل على العظمة والجلال والتنزه عن النقائص والعيوب ويتضمن صفة الكبرياء



وروي عن ابن عباس قال: "ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردله في يد أحدكم"

أنه -سبحانه- يطوي السماوات السبع فيأخذها بيده اليمنى

ويطوي الأرضين السبع فيأخذهن بشماله

فتكون في كفه -سبحانه وتعالى- كخردله

الخردله: هي أصغر شيء يضرب المثل بصغرها

هذا تشبيه لصغر المخلوقات بالنسبة إلى الله سبحانه بصغر حبة الخردل بالنسبة ليد المخلوق

وليس هو من تشبيه الله -تعالى- أو صفة من صفاته بصفات المخلوقين

وهذا من باب ضرب الأمثال التي تُقرب بها المعاني

قال شيخنا محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله تعالى-: أن الصفات من باب واحد وأن الحق فيها متركب من أمرين:

الأمر الأول

تنزيه الله -جل وعلا- عن مشابهة الخلق

الأمر الثاني

الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله إثباتاً أو نفيًا وهذا معنى قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

والسلف ما كانوا يشكون في شيء من ذلك ولا كان يشكل عليهم

كما قال الامام مالك: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة



وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله -ﷺ-: " ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس"

السماوات السبع: السماء الدنيا والتي تليها إلى السماء السابعة على عظمتها وسعتها بطباقها وتباعد ما بينها هناك مخلوق أعظم منها وهو

الكـــــرسي

والكرسي مخلوق من مخلوقات الله تعالى

وهو فوق السموات

والسماوات بالنسبة إليه كسبعة دراهم أَلقيت في تُرس

والترس هو

القاع المستدير من الأرض

الصفحة من الفولاذ التي يتخذها المقاتل وقاية بينه وبين السلاح يتترس بها

فلو ألقيت سبعة دراهم في قاع من الأرض ماذا تكون نسبة هذه الدراهم السبعة إلى هذا القاع الواسع؟ تكون صغيرة جدًا مما يدل على أن الكرسي أعظم من السموات وأنها بالنسبة إليه صغيرة

وهذا هو الظاهر

فالحديث دل على

- وجود الكرسي وأنه مخلوق أعظم من السموات
- وفي هذا رد على من فسر الكرسي بالعلم، والصواب أن الكرسي غير العلم
- وفيه رد على من فسر الكرسي بالعرش، لأن العرش غير الكرسي

ما هو الكرسي؟

والكرسي هو: موضع القدمين فهو مخلوق مستقل عظيم، أكبر من السموات على سعتها وأعظم من السموات على عظمتها



وقال أبو ذر -رضي الله عنه-: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض"

والكرسي هو: موضع القدمين فهو مخلوق مستقل عظيم، أكبر من السموات على سعتها وأعظم من السموات على عظمتها

ولكن هناك ما هو أعظم منه وهو ← العـــرش

والعرش هو سقف المخلوقات وأعلى المخلوقات وأعظمها

والكرسي بالنسبة للعرش ← كحلقة من حديد ألقيت في مكان متسع من الأرض فقد لا تُرى أو تكون شيئًا ضئيلًا

وهذا الحديث يدل على:

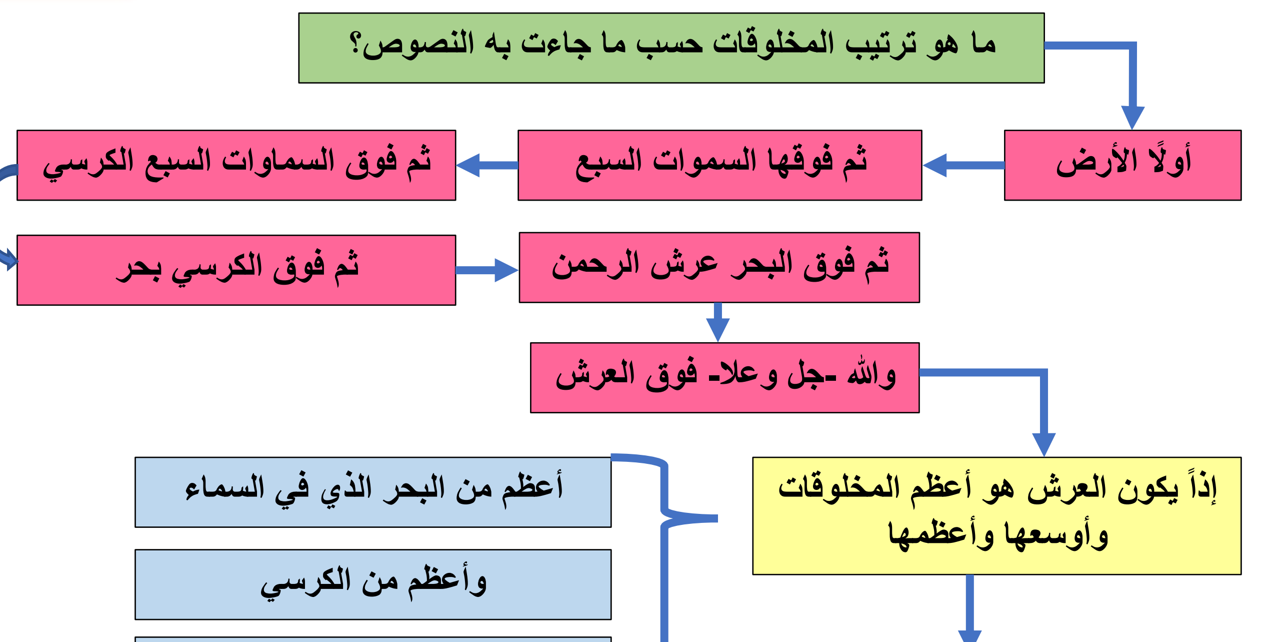
- وجود العرش وأنه مخلوق من مخلوقات الله وأنه أكبر من الكرسي
- أن الكرسي أكبر من السموات
- وكل هذا يدل على عظمة الخالق -سبحانه- الذي هذه مخلوقاته العظيمة الهائلة
- فيه رد على من فسر العرش بالملك وهو تفسير باطل

وعن ابن مسعود قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام...."

هذا الحديث يُبين المسافات:

- بين الأرض والسماء الدنيا ← خمسمائة عام
- بين السماء الدنيا والتي تليها ← خمسمائة عام
- بين كل سماء وسماء ← خمسمائة عام
- بين السماء السابعة والكرسي ← خمسمائة عام
- بين الكرسي والماء ← خمسمائة عام
- كثف كل سماء من السموات ← خمسمائة عام
- عُمق البحر الذي في السماء ← خمسمائة عام





وأعظم من السموات

وأعظم من كل المخلوقات

والله -تعالى- أضافه إلى نفسه فقال: "رب العرش الكريم"

فتمدح به -سبحانه- وذلك لأنه خلق عظيم وخلق فيه عبر عظيمة تدل على عظمة خالقه

"والله فوق العرش"

- فوق مخلوقاته، عالٍ على خلقه سبحانه
- وأدلة علو الله -تعالى- على خلقه كثيرة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة
- وقد أجمع أهل السنة والجماعة على علو الله -تعالى- بذاتِه على خلقه

"ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم"

- أي مع علوه على خلقه لا يتصور أحدٌ أنه بعيد عن عباده، بل له هذا العلو ومع هذا لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم
- فهو فوق العرش وعلمه في كل مكان لا يخفى عليه شيء
- فالمخلوقات كلها على عظمها وسعتها ماهي بالنسبة إليه بشيء سبحانه فهو محيط بها يعلمها ويراها وهو بكل شيء عليم
- وهذا فيه الجمع بين العلوّ والعلم والإحاطة



وعن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء...."

ما الغرض من السؤال في قوله " هل تدرون...."؟

- الغرض التعليم والإرشاد وإحضار الذهن
- وليس الغرض إجابة المسؤول عن شيء لا يعلمه

ما الزيادة التي جاءت في هذا الحديث؟

← قوله "وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة، وكثف كل سماء"

يُستفاد من هذه النصوص فوائد عظيمة وجليلة:

١ قبول الحق ممن جاء به فإن النبي قبل الحق من اليهودي وفرح به

٢ مشروعية التحدث عن آيات الله الكونية من أجل الاعتبار والاتعاظ وتعظيم الله وإفراده بالعبادة

٣ إثبات اليدين لله تعالى والكف والأصابع ووصف يديه باليمين والشمال، فهي شمال ولكن ليست كشمال المخلوق فشِماله يمين جاء في الحديث "وكلتا يديه يمين"

٤ بيان المسافات التي بين هذه المخلوقات وهي مسافات متباعدة وعظيمة تدل على عظمة خالقها

٥ الرد على أصحاب النظريات الحديثة الذين لا يؤمنون بوجود السموات ولا بوجود المخلوقات العلوية وإنما يظنون أن هذا فضاء خارجي

٥ وعندهم أن الكون هو المجموعة الشمسية وأن الشمس هي المركز لهذه المجموعة وأن الافلاك بكواكبها تدور عليها بما فيها الأرض

↓

وهذا كذب على الله -تعالى- وقول على الله بلا علم

↓

فيجب الإيمان بما ورد في الاحاديث السابقة وتكذيب هذه النظريات التي ما أنزل الله بها من سلطان



٦ في هذه النصوص إثبات أن الأرضين سبع كالسموات والله جل وعلا لم يذكر في القرآن عدد الأرضين ولكنه أشار إلى هذا في قوله: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ"

٧ بيان كيفية هذه المخلوقات وأن بعضها فوق بعض

فالأرض أولًا ثم السموات ثم الكرسي ثم البحر ثم العرش

٨ أن الكرسي غير العرش وأنه مخلوق مستقل

ردًّا على من زعم أنه العرش أو أن المراد به العلم

٩ إثبات علو الله -تعالى- على عرشه، ردًّا على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونُفاة العلو الذين ينفون علو الله على عرشه

١٠ إثبات إحاطة علم الله -جل وعلا- بكل شيء وأنه لا تخفى عليها

أعمال عباده صغيرها وكبيرها

١١ وجوب إفراد الله -تعالى- بالعبادة لأنه إذا كانت هذه المخلوقات العظيمة الحقيرة بالنسبة إليه سبحانه وصغيرة بالنسبة إليه وأنه يتصرف فيها جل وعلا ويعلم ما يجري وما يكون فيها فهو المستحق للعبادة وبُطلان عبادة ما سواه ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا

وبهذا انتهينا من الخرائط المعرفية لهذا الكتاب المبارك "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" للشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين